حجر بن عــدي الكندي ودوره في احداث عصره

السيد حيدر لفته سعيد
جامعة الكوفة /الاداب

الدكتور مكي خليل حمود
جامعة الكوفة / الفقه

المقدمة

لقد شهد العالم الإسلامي ظهور العديد من الرموز التاريخية التي تركت أثراً واضحاً في مجمل الإحداث السياسية والعسكرية التي عاصرتها بل وضحت من أجل إن يبقى الدين الإسلامي والمبادئ السامية التي دعا إليها الرسول الأكرم(✕) مصونةً على مرّ السنين، ويُعد حجر بن عدي الكندي – موضوع بحثنا – احد هؤلاء، ولعل مواقفه الإسلامية الخالدة – من بداية إسلامه وحتى استشهاده -، فضلا عن عدم وجود دراسة أكاديمية دقيقة عنه، ورغبتنا الصادقة في إماطة اللثام عن مختلف جوانب حياته، هو ما دفعنا للكتابة عنه. احتوى البحث على مقدمة وعشر نقاط وخاتمة، تناولت الأولى اسمهُ ونسبهُ إما الثانية فناقشت ولادته واسلامهُ فيما ألقت الثالثة الضوء على صفاته بينما عالجت الرابعة كراماته، إما الخامسة فتحدثت عن أولاده وجاءت السادسة لتكشف النقاب عن جهاده في العهد ألراشدي فيما ركزت السابعة على مقارعته للحكم الأموي، وتحدثت الثامنة عن استشهاده، وبينت التاسعة استنكار الشخصيات الإسلامية لمجزرة عذراء، إما العاشرة فتحدثت عن أدب شهداء عذراء. واختتمنا البحث بأهم النتائج التي توصلت إليها.

أولاً: اسمهُ ونسبهُ

هو ابو عبد الرحمن [1] حجر بن عدي بن معاوية بن جبله بن عدي بن ربيعه بن معاوية الاكرمين الكندي [2] ويلقب بحجر الادبر[3] وحجر الخير[4] وربما لقب بذلك تميزاً له عن حجر الشر احد أصحاب معاوية بن ابي سفيان. إما نسبه ففيه قولان، الأول يرجعه إلى ملك كنده الحارث بن عمرو بن آكل المرار بن حارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كنده[5] فيما يرى آخر انه يعود في نسبه إلى كهلان بن سبأ[6] ونحن نتفق مع ما ذهبا إليه ذلك أنهما يصلان في سلسلة نسب حجر إلى قبيلة كنده العربية[7].

ثانياً: ولادته وإسلامه

تعد سنة ولادة حجر ونشأته من الأمور الغامضة التي أغفلتها أقلام المؤرخين شانه في ذلك شأن العديد من الشخصيات التاريخية المهمة التي لم تصلنا إخبارها بشكل مكثف إلا بعد دخولها الإسلام، ويبدو إن ذكراهم كان متعلقاً بالإحداث التاريخية التي شهدتها الساحة الإسلامية في زمن الرسول(✕) وما تلاه، وبالنسبة لحجر فلم يردنا عنه شيئ سوى انه كان جاهلياً[8] وقد مارس عادة اكل الدم وهي عادة لا يمارسها الا من بلغ فترة الرشد من العمر[9] الامر الذي يفيد بانه كان يقارب الثامنة عشرة من عمره ولما يدخل الإسلام.

إما سنة إسلامه فلا نعلم عنها شيئاً ولم تذكر المصادر سوى انه قدم مع أخيه هانيء إلى المدينة والتقيا بالرسول محمد(✕) وأعلنا اسلامهما على يديه[10] وإذا ما سلمنا انه كان ضمن وفد كنده الذي تشرف بلقاء

---

[1] الحاكم النيسابوري، ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 405هـ)، المستدرك على الصحيحين، دار الكتاب العربي، (بيروت- د.ت)، جـ3، ص468 ().

[2] ابن حجر، شهاب الدين احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني الشافعي (ت852هـ)، الاصابة في تمييز الصحابة، مطبعة مصطفى محمد، (مصر- 1939م)، جـ1، ص313 ().

[3] سمي بذلك نسبة لابيه الذي طعن في آليته وكان مولياً. ينظر: ابن الاثير، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري(ت 630هـ)، اسد الغابة في معرفة الصحابة، قدم له: شهاب الدين النجفي، المطبعة الاسلامية، (طهران- د.ت)، مج1، ص385 ().

[4] ابي سعد، محمد بن سعيد بن منيع البصري (ت230هـ)، الطبقات الكبرى، دار صادر للطباعة، (بيروت-1957م)، مج6، ص217 ().

[5] ابو حنيفة الدينوري، احمد بن داود (ت282هـ)، الاخبار الطوال، حققه: عصام محمد الحاج علي، دار الكتب العلميه، (بيروت-2001م)، ص331 ().

[6] العاملي، محسن الامين، حجر بن عدي، بحث منشور ضمن مجلة المرشد، العدد 9، 10، السنة الخامسة، (دمشق-1998م)، ص416 ().

[7] ينظر: الكشي،ابي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز (من اعلام القرن الرابع الهجري)، رجال الكشي، قدم له وعلق عليه: احمد الحسيني، مطبعة الاداب، (النجف- د.ت)، ص94 ().

[8] ابن سعد، الطبقات، مج6، ص217 ().

[9] الحاكم النيسابوري، المستدرك، جـ3، ص470 ().

[10] ابن سعد، الطبقات، مج6، ص217؛ ابن حجر، الاصابة،جـ1، ص313 ().

الرسول(ﷺ) في السنة العاشرة للهجرة[11] فإننا نصل إلى حقيقةٍ تقريبية تُشير إلى إن حجر بن عدي كان في الثامنة والعشرين عندما اسلم ولعل ما يدعم ذلك قول ابن عبد البر بأنه "كان من فضلاء الصحابة [رغم] صغر سنه عن كبارهم"[12] والأمر الأخر انه قتل وهو شيخ كبير قد ذرف السبعين.

[11] الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ)، تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف للنشر، (القاهرة- 1962م)، جـ3، ص 138- 139.

[12] ابي عمر يوسف بن عبد الله (ت 463هـ)، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر، (مصر- د.ت)، ق1، ص329.

ثالثا: صفاته

لقد اجمع المؤرخون وأصحاب التراجم إن حجر كان يتحلى بكل الصفات الحميدة، فقد كان صحابياً جليلاً وقائداً شجاعاً، أبياً للنفس، عابداً، زاهداً، ثقةً، مستجاب الدعوة، عارفاً لله مسلماً لأمره، جاهراً للحق، مقاوماً للظلم[13] ولعل ما يؤكد ذلك شهادة القاضي شريح بن هاني – احد الشهود الذين شهدوا ضده في الكتاب الذي بعثه زياد بن ابيه الى معاوية – انه كان "ممن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة، ويديم الحج والعمرة، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر....." [14].وأما انه من خيار الصحابة فقد شهد له بذلك كبار العلماء[15] وعن رياسته وشجاعته الموجبه لاستحقاقه تولي قيادة الجيوش، فيدل عليها تولية امير المؤمنين علي ابن ابي طالب(ﷺ) له الامارة على الجيوش في حروب الجمل* وصفين* والنهروان* واما اباء نفسه فقد حملهُ على تمني الموت قبل الرغم والذل[16] وفيما يخص عبادته فكفى فيها وصف الحاكم بانه "راهب اصحاب محمد(ﷺ)"[17] وانه "ما احدث الا توضأ وما توضأ الا صلى"[18] واما زهده في الدنيا فلا ادل عليه من اختيارهُ الاخرة عليها حتى استشهد في طلب الدار الآخرة وعن معرفته بالله وتسليمه لامره فنلخصها من خلال وصوله الى درجة تقارب درجة الانبياء بدليل ان اصحابه – كما سنرى – يطلبون منه ان يدعوا الله بخلاصه وخلاصهم فلا يزيد على قوله ثلاثاً "اللهم اغفرلنا"[19] وبالنسبة لتسليمه لامر الله تعالى فلا مقام اجل من ان يسلم نفسه للقتل واختياره ذلك على البراءة من علي(ﷺ) قائلاً "ولا اقول ما يُسخط الرب"[20] واما كونه ثقة فيدل عليها دقة روايته للحديث فقد ورد انه كان لا يروي عن غير علي شيئاً[21] وقد اشار ابن ماكولا "ان اكثر اصحاب الحديث لا يصححون لحجر روايه"[22] وعن كونه مستجاب الدعوة فلا ادل من ان يطلب اليه اصحابه ان يدعو الله له ولهم ليفرج عنهم مصيبتهم – كما اسلفنا، ويظهر جهاره للحق ومقاومته للظلم في مواقف عدة لاسيما ضد المغيرة بن شعبه وزياد بن ابيه – كما سنرى -.

رابعاً: كرامته

لقد افاض الله سبحانه على حجر بكرامات عديدة تحصل عليها نتيجة زهده واخلاصه في طاعة ربه حتى قيل في حقه "انه كان مجاب الدعوة"[23] ومن كراماته انه "اصابته في طريقه [الى مرج عذراء]* جنابة فقال للموكل [به] اعطني شرابي اتطهر به ولا تعطني غداً شيئاً فقال : اخاف ان تموت عطشاً فيقتلني معاوية ... فدعا الله فانسكبت له سحابة بالماء فاخذ منها الذي احتاج اليه"[24] وله كرامه اخرى هي ان السياف عندما اراد ان ينفذ فيه حكم الاعدام طلب اليه ان يقدم رأسه فرفض حجر، فعمد السياف الى قطع رأسه وعندما وصل الرأس الارض غارت الارض تحت راسه وانبعثت عين ماء غسلت رأسهُ الشريف وجاء ذلك مصدقاً لقول رسول الله(ﷺ) "يا حجر تُقتل في محبة علي ابن ابي طالب(ﷺ) صبراً، فاذا وصل رأسك الى الارض، انبعثت عين ماء فغسلت الرأس"[25].

---

[13] ابن سعد، الطبقات، مج6، ص219؛ العلامه الحلي، الحسن بن يوسف بن علي المطهر (ت726هـ)، رجال العلامه الحلي، صححه وعلق عليه: محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، ط2، (النجف- 1961م)، ص59، العاملي, حجر بن عدي، ص 416.

[14] ابن الاثير، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، الكامل في التاريخ، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للنشر، (بيروت- 2002م)، جـ3، ص423.

[15] ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ق1، ص329؛ ابن الاثير، اسد الغابة، مج1، ص385.

* ضد الناكثين لبيعته كطلحه والزبير وقد حرضا عائشة على ذلك فخرجت معهم ومعها جمع من المسلمين، التقى بهم (ﷺ)حرب الجمل: هي الحرب التي خاضها علي في البصرة وانتصر عليهم وكان ذلك سنة 36هـ/ 656م، وسميت بالجمل نسبةً الى جمل عائشة. للمزيد من التفاصيل ينظر: ابي مخنف، لوط بن يحيى (ﷺ)علي الازدي الكوفي (ت157هـ)، كتاب الجمل وصفين والنهروان، جمعه وحققه: حسن حميد السنيد، مؤسسة دار السلام للنشر, (لندن- 2002م)، ص163- 219.

* ضد معاويه وجيشه من الشام وقد حدثت سنة 36هـ/ 656م وانتهت بالتحكيم بين الطرفين. وصفين موضع قرب (ﷺ)حرب صفين: هي الحرب التي خاضها علي الرقه على شاطيء الفرات من الجانب الغربي. للمزيد من التفاصيل ينظر: م. ن، ص263- 414؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت626هـ)، معجم البلدان، دار احياء التراث العربي، (بيروت- د.ت)، مج3، ص195.

* ضد الخوارج (المارقين) وانتهت لصالحه وكانت سنة 37هـ/ 657م وعرفت بهذا الاسم نسبة الى نهروانات (ﷺ)حرب النهروان: وهي الحرب التي خاضها علي ثلاث الاعلى والاوسط والاسفل وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي ويتصل حدها ببغداد. للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الاثير، الكامل، جـ3، ص286- 298؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج4، ص418.

[16] ينظر: ابن اعثم، ابي احمد الكوفي (ت314هـ)، الفتوح، تحقيق: علي شيري، دار الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت- 1991م)، جـ4، ص295.

[17] المستدرك، جـ3، ص468.

[18] المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط2، (مصر- 1948م)، جـ3، ص13؛ العاملي حجر بن عدي، ص416.

[19] العاملي، حجر بن عدي، ص416.

[20] الطبري، تاريخ، جـ5، ص276؛ ابن الاثير، الكامل، جـ3، ص425.

[21] ابن سعد، الطبقات، مج6، ص218.

[22] العاملي، حجر بن عدي، ص416.

[23] ابن عبد البر، الاستيعاب، ق1، ص331.

[24] ابن حجر، الاصابة،جـ1، ص314؛ الحائري، محمد مهدي، شجرة طوبى، مطبعة بهمن، (قم- 2006م)، ص86.

* مرج عذراء : وعذراء قرية بغوطه دمشق من اقليم خولان ينسب اليها المرج. ينظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج3، ص303.

[25] المهاجر، عبد الحميد، حجر بن عدي (51هـ -671م)، بحث منشور ضمن مجلة المرشد، العدد 9، 10، السنة الخامسة، (دمشق- 1998م)، ص419-420.

* الى ان زحف ضده مصعب بن الزبير فقتله سنة (ﷺ)هو المختار بن ابي عبيد بن مسعود بن عمر الثقفي، غلب على الكوفه زمن عبد الله بن الزبير وتتبع قتلة الحسين 67هـ/ 687م. ينظر: ابن قتيبه، ابو محمد عبد الله بن مسلم، المعارف، دار الكتب العلميه، (بيروت- 1987م)، ص226- 227.

* يراد به مصعب بن الزبير . ينظر م. ن.

خامسا: اولاده

كان لحجر اربعة اولاد هم عبد الله وعبد الرحمن وقد "قتلا مع المختار* لما غلب عليه مصعب*"[26] اما الثالث فاسمه همام وقد استشهد مع ابيه في قرية مرج عذراء سنة 51هـ/ 671م[27] بعد ان طلب حجر من جلاده ان يقدم ولده امامه كي لا يدفعه قتله قبله الى البراءة من علي بن ابي طالب(ﷺ) خوفاً[28] والرابع اسمه مخشي ولا نعرف عنه شيئاً سوى انه ورد في سلسلة واة أحد الاحاديث التي ساقها الحاكم نقلا عن حجر[29].وفيما يتعلق بما ثبته المسعودي ان لحجر بن عدي بنتاً انشدت شعراً ترثي اباها بعدما سيق مقيداً بالاغلال الى الشام[30] فهو خبر لا يمكن الركون اليه لاسيما وان الشعر ذكر تارةً على لسان هند الانصارية[31] وتارة على لسان والدة حجر[32] ناهيك انه اسند باجماع المصادر[33] الى هند الانصارية، الامر الذي يفند ما ذهب اليه المسعودي.

سادسا: جهاده في العهد الراشدي

شارك حجر في العديد من الفتوحات الاسلامية التي شهدها العهد الراشدي (11- 41هـ / 632- 661م) لاسيما في عهد الخليفة عمر الخطاب (13- 23هـ / 634- 644م) فقد ورد انه شارك في معركة القادسية (16هـ / 637م) [34] كما شهد فتح جلولاء* في سنة (16هـ/ 637م) [35]اذا التحق حجر بجيوش المسلمين التي تجمعت في جلولاء لقتال الفرس، وكان بامرته الفا فارس[36] وقد اسند اليه قيادة ميمنة الجيش[37] الذي انتظم هناك بقيادة هاشم بن عتبه بن ابي وقاص[38].واسهم حجر في فتوح الشام فقد روي انه كان قائداً لاحد الجيوش المتوجهة لفتح الشام وهناك اعترضته حاميه رومانيه في قرية مرج عذراء استطاع ان يقهرها وان يفتح القرية[39] ولعل ما يؤكد ذلك قوله عندما اقتيد اليها ليقتل بها "الحمد لله ... اما والله اني لاول مسلم نبحَّ كلابها في سبيل الله ثم أُتي بي اليوم مصفوداً"[40] وفي قول آخر "اني لاول فارس من المسلمين هلل في واديها واول رجل من المسلمين نبحته كلابها"[41]. لم تكن المواقف العسكرية وحدها التي ألقت الضوء على حرص حجر وتفانيه من اجل نشر راية الإسلام والحفاظ على المبادئ التي أرساها النبي محمد(✕) بل نجد في موقفه السياسية جانباً آخر يكمل الجانب العسكري، وقد تجلى هذا الأمر بوضوح في مواقفه الرافض لممارسات الخليفة الثالث عثمان بن عفان (24-35هـ/644-656م) وقد تجسد ذلك في الكتاب[42] الذي بعث به زعماء أهل الكوفة وبينهم حجر – ينصحون فيه الخليفة بالكف عن تصرفاته المنافية لما جاء به دين الإسلام والوقوف على تجاوزات عماله والحد منها ويمكن تلمس ذلك في هذا النص "... أنا كتبنا أليك نصيحةً لك واعتذاراً وشفقةً على هذه ألامه من ألفرقه و [قد] حدثت أمور متفاقمة أنت جنيتها باحداقك، يا عثمان: فاتق الله والزم سنة الصالحين من قبلك وانزع عن ضرب قرابتنا ونفي صلحائنا[43] وقسم فيئنا بين اشرارنا والاستبدال عنا واتخاذك بطانة من الطلقاء وابن الطلقاء دوننا، فانت أميرنا ما أطعت الله واتبعت ما في كتابه وانبت اليه واحييت أهله وجانبت الشر واهله وكنت للضعفاء [عوناً] ورددت من نفيت منا وكان القريب والبعيد عندك في الحق سواء"[44].ويظهر لنا من هذا النص ان حجر كان من

---

[26] الحاكم النيسابوري، المستدرك، جـ3، ص468 ().

[27] الامين، السيد محسن بن عبد الكريم (ت2371هـ)، اعيان الشيعة، تحقيق: حسن الامين، دار التعارف للمطبوعات، (بيروت-1983م)، جـ4، ص582؛ الحسني، هاشم معروف، الانتفاضات الشيعيه عبر التاريخ، دار التعارف للمطبوعات، (بيروت- 19990م)، ص220 ().

[28] الحلفي، عدنان، وقفة عند قبر الصحابي الشهيد حجر بن عدي، بحث منشور ضمن مجلة المرشد، العدد 9، 10، السنة الخامسة، (دمشق- 1998م)، ص424 ().

[29] الحاكم النيسابوري، المستدرك، جـ3، ص468 ().

[30] مروج الذهب، جـ3، ص12 ().

[31] الطبري، تاريخ، جـ5، ص280 ().

[32] ابو حنيفه الدينوري، الاخبار الطوال، ص ().

[33] الطبري، تاريخ، جـ5، ص280؛ ابن سعد، الطبقات، مج6، ص220؛ ابن الاثير، الكامل، جـ3، ص427 ().

[34] ابن سعد، الطبقات، مج6، ص217؛ ابن الاثير، اسد الغابه،مج1، ص385 ().

* جلولاء: طوسج من طسا سيج السواد في طريق خراسان بينها وبين خانقين سبعة فراسخ وهو نهر عظيم يمتد الى بعقوبه وبها كانت الوقعه بين المسلمين والفرس وسميت جلولاء الوقيعه لما اوقعه المسلمين بهم من قتلى وكانت سنة 16هـ/ 637م. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج2، ص71؛ لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقيه، تعريب: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطه، (بغداد- 1954م)، ص87.

[35] البلاذري، ابو الحسن احمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ)، فتوح البلدان، اشرف على اخراجه: لجنة تحقيق التراث، دار ومكتبة الهلال للنشر، (بيروت- 1988م)، ص260.

[36] ابن اعثم، الفتوح، جـ1، ص211 ().

[37] البلاذري، فتوح البلدان، ص260؛ ابو حنيفه الدينوري، الاخبار الطوال، ص185 ().

[38] ابن اعثم، الفتوح، جـ1، ص211 ().

[39] ابن سعد، الطبقات، مج6، ص217؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ق1، ص329؛ ابن حجر، الاصابة،جـ1، ص312؛ الحسني، الانتفاضات الشيعيه، ص219 ().

[40] ابن سعد، الطبقات، مج6، ص219 ().

[41] ابن الاثير، جـ5، ص425 ().

[42] ينظر نص الكتاب في ابن اعثم، الفتوح، جـ2، ص390 ().

[43] وفي هذا القول اشارة الى عثمان بضرب عمار بن ياسر ونفي اباذر الغفاري. للمزيد من التفاصيل ينظر: المجلسي، محمد باقر،بحار الانوار الجامعه لدرر اخبار الائمة الاطهار، تحقيق: عبد الزهراء العلوي، دا الرضا للنشر، (بيروت- د.ت)، جـ3، ص150- 253 ().

[44] ابن اعثم، الفتوح، جـ2، ص390 ().

بين الكوفيين الذين حاولوا تنبيه الخليفه المذكور الى حجم المخاطر التي تحيق بآلامه الاسلاميه والتي تنذر بنشوب الفتنه اذا ما انتبه الى اخطائه و حاول تلافيها من خلال السير على نهج من سبقه من الخلفاء، وعدم التجاوز على الصحابة بضربهم ونفيهم كما فعل بعمار بن ياسر واباذر الغفاري، وفي الكتاب ايضاً دعوة صريحه لتقسيم اموال المسلمين بالعدل وضرورة ابعاد الامويين عن دائرة القرار لاسيما مروان بن الحكم و ومعاويه بن ابي سفيان لاستئثارهم بالرأي دونه كونه خليفة للمسلمين. ويبدو ان الخليفة لم ياخذ بنصائح حجر واصحابه ولم يكن بوسعه تصحيح مسار سياسته نتيجة ضعفه، فاخذت الفتنة تلوح في الافق ولعل اول ارهاصاتها موت ابي ذر في الربذه* منفياً مهجراً[45] – بتدبير معاوية بن ابي سفيان وبايعاز من الخليفة ذاته – لا لذنب الا لانه اراد ان يُعمل بكتاب الله وسنة رسوله محمد(✕) وكان ممن شهد موت ابي ذر واشرف على تجهيزه وتكفينه جماعة من الصحابة كان من بينهم حجر[46].اما في عهد علي(40 -35) (ﷺ/ 656- 660م) وهو رابع الخلفاء الراشدين، فقد ورد ان حجر كان من خيرة صحابته(ﷺ) ومن شيعته ومحبيه[47] وكانت اول مساهمة له مع علي(ﷺ) في حرب الجمل، وذلك حين قدم الامام الحسن(ﷺ) الى الكوفة – قبل وقوع الحرب – داعياً اهلها لنصرة ابيه(ﷺ) فاجابه زعماء الكوفة الموالين لعلي(ﷺ) ودعوا الناس بالاستجابة لنصرة امامهم، وكان بين هؤلاء الزعماء حجر بن عدي، حيث قال "ايها الناس اجيبوا امير المؤمنين، وانفروا خفافاً وثقالاً[48] مروا وانا اولكم، فاذعنوا للمسير"[49].وبلغ من سار من الكوفة لحرب الجمل تسعة الآلاف وستمائة وخمسين رجلاً[50] وكان لكل زعيم قبيلة رايه، بلغت سبع رايات[51] وقد اسندت راية جيش كنده وحضرموت وقضاعه ومهره الى حجر [52] وله في هذه الواقعة ارجوزه حين اشتد القتال جاء فيها[53]:

يا رب سلم لنا عليـا	سلم لنـا المبارك المضيّـا
بل هادياً موفقاً مهدياً	واحفظهُ ربي و احفظ النبيا
المؤمن الموحد التقيا	لا اخطل الرأي ولا غويـا
فيه فقد كان له وليـاً	ثم ارتضاه بعـدهُ وصياً

اما في صفين فقد اخذ الامام علي(ﷺ) يستشير اصحابه ليقف على آرائهم حول خروجه لقتال معاوية ومنازلة اهل الشام ام عدمه، فانبرى اليه العديد من الصحابة وزعماء اهل الكوفة بالكلام عن استعدادهم لخوض الحرب ومما قاله حجر في هذه المناسبة "يا امير المؤمنين نحن بنو الحرب واهلها، الذي نلقحها وننتجها، قد ضارستنا وضارسناها، ولنا اعوان ذوو اصلاح وعشيرة ذات عدد ورأي بحرب وباس محمود، وازمتنا منقاده لك بالسمع والطاعة، فان شرقت شرقنا وان غربت غربنا، وما امرتنا به من أمر فعلناه، فقال [له] علي(ﷺ) أكل قومك يرى مثل رأيك : قال: ما رأيت منهم الا حسناً، وهذه يدي عنهم بالسمع والطاعة وحسن الاجابة، فقال له(ﷺ) خيراً"[54] وعندما انفض مجلس الامام، خرج من عنده حجر وعمرو بن الحمق الخزاعي وهم يُظهرون الشتم لمعاوية واللعن لاهل الشام فارسل الامام في طلبهما وامرهما بالتوقف عن ذلك فقالا للامام(ﷺ) "يا امير المؤمنين السنا على الحق وهم، على الباطل، قال: بلى ورب الكعبة المسنده فقالوا: فلم تمنعنا من شتمهم و لعنهم، قال لهم: كرهت لكم ان تكونوا شتامين لعانين"[55] "ولو قلتم: اللهم احقن دمائنا ودمائهم واصلح ذات البين بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم، لكان احب الي لكم، فقالا:يا امير المؤمنين: فاننا نقبل عظتك ونتأدب بادبك"[56].

---

* ابوذر الغفاري. ينظر: ياقوت الحموي، (✕)الربذه: قرية من قرى المدينه المنورة تبعد عنها ثلاثة اميال قريبه من ذات عرق وبها موضع قبر صاحب رسول الله معجم البلدان، مج2، ص388.

[45] الطبري، تاريخ، جـ4، ص284-285، 308- 309؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج2، ص388 ().

[46] ابن حجر ، الاصابة،جـ1، ص313؛ العاملي، حجر بن عدي، ص415 ().

[47] الشيرازي، صدر الدين السيد علي خان المدني الحسيني (ت1120هـ)، الدرجات الرفيعه في طبقات الشيعه، قدم له: محمد صادق بحر العلوم، منشورات المطبعة الحيدريه، (النجف- 1972م)، ص423 ().

[48] ابو حنيفه الدينوري، الاخبار الطوال، ص 208 ().

[49] ابن الاثير، الكامل، جـ5، ص197 ().

[50] ابو حنيفه الدينوري، الاخبار الطوال، ص 208 فيما ذكر اليعقوبي، احمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت292هـ)، تاريخ اليعقوبي، علق عليه ووضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلميه، ط2، (بيروت- 2002م)، جـ2، ص136 ان عدد من التحق بعلي (ﷺ)تسعة الالاف نفر ينظر: الكامل، جـ5، ص197 ونحن نؤيد الدنيوري فيما ذهب اليه لانه الاقدم فضلاً عن كون الامام الحسن هو من احصى عددهم.

[51] ابو حنيفه الدينوري، الاخبار الطوال، ص 209 ().

[52] ابو مخنف، الجمل وصفين والنهروان، ص154 ().

[53] م. ن، ص 182- 183 ().

[54] المنقري، نصر بن مزاحم (ت212هـ)، وقعة صفين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (قم- 1983م)، ص104، ابن ابي الحديد، عز الدين ابو حامد عبد الحميد هبة الله محمد بن محمد بن الحسين المدائني (ت655هـ)، شرح نهج البلاغه، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة- 1958م)، جـ3، ص182؛ الشيرازي، الدرجات الرفيعه، ص423.

[55] ابو حنيفه الدينوري، الاخبار الطوال، ص 242 ().

[56] ابن اعثم، الفتوح، جـ2، ص543 ().

يتضح لنا من النص ان حجر بن عدي وصاحبه كانا يحضيان بمنزلةٍ عظيمة لدى الامام(ﷺ) فكان يكره لهم ان يتصفوا بصفات ذميمة كالشتم واللعن وهي منافيه لاخلاق حجر ودينه ويبدو ان وضوح رؤيته وحميته لدين الاسلام هي من جعلته يفقد سيطرته على نفسه ويذهب الى هذا الاسلوب، كما ونستشف من هذا مثلا رائعاً لاخلاق الحرب تجسدت في شخصية الامام علي(ﷺ) الذي رفض لاصحابه ان يكونوا شتامين لعانين حتى لعدوهم.

كان حجر على كنده يوم صفين[57] ومن مواقفه فيها انه خرج لقتال ادهم بن لام القضاعي الذي خاطبه حجر مرتجزاً:

اثبت لواقع الصارم الصقيلِ فانت لا شك اخو قَتيل[58]

فحمل عليه حجر وقتله[59] فخرج اليه الحكم بن الازهر قائلاً[60]:

يا حجر حجر بن عدي الكندي اثبت فاني ليس مثلي بعدي

فاجابه مرتجزاً:

انا الغلام اليمني الكنــدي قد لبسَ الديباج الافرندي
انا الشريف الاريحي المهدي يا حكم بن ازهر بن فهد
لقد اصبت غارتي وحــدي وكـرتي وشدتي وجدي
اثبت أقاتلك الغداة وحدي[61]

فشد عليه حجر وارداه قتيلاً[62].

ثم خرج اليه ابن عم له يُقال له مالك بن مسهر القضاعي وهو يرتجز:

اني انا مالك وابن مسهر ابن عم الحكم بن الازهر[63]

فاجابه حجر:

اني حجر وانا بن مسعر أقدم اذا شئت ولا توخر[64]

ثم حمل عيه حجر وقتله[65].

ويُعد اليوم السابع من صفين من الايام العظيمة وفيه برز حجر الخير (حجر بن عدي) لـ (حجر الشر) وقد اصيب حجر الخير بطعنه رمته عن فرسه فاستنقذه بعدها اصحابه[66].ومن الجدير بالذكر ان هذه الحرب انتهت باللجوء الى التحكيم* وكان ممن شهد على وثيقة التحكيم جمع من الصحابة فضلاً عن زعماء اهل الكوفه كان من بينهم حجر[67] . وفيما يتعلق بحرب النهروان التي خرج فيها الامام علي(ﷺ) لحرب المارقين (الخوارج)* فكان حجر على ميمنة جيش الامام(ﷺ)[68].ومن مواقفه القتالية الاخرى في عهد علي(ﷺ) خروجه لقتال الضحاك بن قيس الفهري الذي تزعم حملة عسكرية استهدفت الاغارة على ضواحي الكوفة وقد قتل على اثرها عمرو بن مسعود الذهلي* بعدما نزل الضحاك الثعلبية* وعندما بلغ الامر علياً(ﷺ) انتدب له حجر بن عدي وضم اليه اربعة الالاف فارس سيرهم لملاقات الضحاك والنيل منه فمر بنهر كلب* فقتل حجر من جيش الشام تسعة عشر رجلاً فيما قتل من اصحابه رجلان واستغل الضحاك الليل ففر الى الشام وعاد حجر الى الامام مظفراً[69].وفي آواخر ايام الامام علي(ﷺ) ارسل معاوية جيشاً آخر بقيادة سفيان بن عوف الغامدي للاغارة على

---

[57] ابن الاثير، اسد الغابه، مج5، ص385 ().
[58] ابن شهرآشوب، محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني (ت588هـ)، مناقب آل ابي طالب، المطبعة الحيدرية، (النجف- 1956)، جـ1، ص355 ().
[59] ابن اعثم، الفتوح، جـ3، ص91 ().
[60] الشيرازي، الدرجات الرفيعه، ص425 ().
[61] المنقري، وقعة صفين، (طبعة بيروت- 1921م)، ص176 ().
[62] ابن اعثم، الفتوح، جـ3، ص91 ().
[63] ابن شهرآشوب، المناقب، جـ1، ص355 ().
[64] الشيرازي، الدرجات الرفيعه، ص425 ().
[65] ابن اعثم، الفتوح، جـ3، ص91 ().
[66] المنقري، وقعة صفين، (طبعة بيروت- 1921م)، ص176؛ ابو حنيفه الدينوري، الاخبار الطوال، ص260 ().
[67] تنظر وثيقة التحكيم في: ابو مخنف، الجمل وصفين والنهروان، ص379- 382 ().
* يوم صفين ورفضوا التحكيم وعرفوا بالمارقين لانهم مرقوا عن الدين كما يمرق السهم من القوس ومن زعمائهم (ﷺ) الخوارج: هم جماعة خرجوا على الامام علي يومذاك الاشعث بن قيس ومسعر بن فدكي التميمي للمزيد من التفاصيل ينظر: الشهرستاني، ابي الفتح محمد بن عبد الكريم (ت548هـ)، الملل والنحل، صححه وعلق عليه: احمد فهمي محمد، دار الكتب العلميه، (بيروت- د.ت)، جـ1، ص106.
[68] ابو مخنف، الجمل وصفين والنهروان، ص438 ().
* عمرو بن مسعود الذهلي: هو اخو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، وقد قتله الضحاك على طريق الحج بالقرب من القطقطانه. - وهي موضع قرب الكوفه- ينظر: ابن هلال الثقفي، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال (ت283هـ)، الغارات او الاستنفار والغارات، تحقيق: عبد الزهراء الحسيني الخطيب، دار الكتاب الاسلامي للنشر، (رقم- 1990م)، ص292.
* الثعلبيه: هي احد المنازل على طريق مكة تقع قرب الخزيميه. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج2، ص11.
* نهر كلب هو نهر يفصل بين بيروت وصيدا من بلاد العواصم الشاميه. ينظر: م. ن، مج4، ص148.
* تدمر: مدينه قديمة مشهورة في بادية الشام . ينظر: م. ن، مج1، ص433.
[69] ابي هلال الثقفي، الغارات، ص292- 294 ().

الانبار فتقاعس الناس وتكاسلوا عن اجابة امامهم(ﷺ) بوجوب التهيؤ لحرب معاوية، ما خلا جماعة كانت مستعدة للموت بين يديه لا سيما حجر بن عدي وسعيد بن قيس الهمداني اللذان قالا للامام "لا يؤذك يا امير المؤمنين، مرنا بامرك نتبعه، فو الله ما نعظم جزءاً على اموالنا ان نفذت ولا على عشراتنا ان قتلت في طاعتك، فقال(ﷺ): تجهزوا للمسير الى عدونا"[70].ويبدو ان اغتيال الامام على يد عبد الرحمن بن ملجم المرادي ابقى سيوف المؤمنين باقية في اغمادها ولم يكتب لعلي(ﷺ) ان يقتص من معاوية على تجاوزاته الاخيرة وعن موقف حجر حين قتل الامام(ﷺ) بتدبير من الاشعث*، انه كان يعرف قاتله والذين حرضوه حيث ورد عن الطبرسي "ان حجر ... كان في تلك الليلة (ليلة استشهاد الامام) بائتاً في المسجد فسمع الاشعث يقول لابن ملجم: النجاء النجاء لحاجتك [وهي قتل الامام] فقد فضحك الصبح، فاحسَّ [حجر] بما اراد الاشعث فقال له: قتلته يا اعور، وخرج مبادراً ليمضي الى امير المؤمنين(ﷺ) ليخبره الخبر، فدخل(ﷺ) المسجد [قبل ان يخبره] فسبقه ابن ملجم لعنه الله فضربه بالسيف، واقبل حجر والناس يقولون [بعدما رأوا امامهم مُضرجاً بدمه] قتل امير المؤمنين"[71] . ومن شعر له وهو ينعى الامام علياً(ﷺ) حين زاره في بيته قبيل استشهاده وقد بدت عليه علائم الموت:

فيا اسفي على المولى التقي ابو الاطهار حيدرة الزكي
قتلــه كافر حنثُ زنيم لعينُ فاسق نغلُ شقــي
فيلعن ربنا من حـاد عنكم ويبرأ منكم لعناً وبــيُ
لا نكم بيوم الحشر ذخري وانتم عترة الهادي النبـي[72]

فلما بصَره الامام(ﷺ) وسمع شعره "قال له: كيف لي بك اذا دُعيت الى البراءة مني فما عساك تقول: فقال والله يا امير المؤمنين لو قطعت بالسيف ارباً ارباً وأحزم لي النار والقيت فيها لآثرت ذلك على البراءة منك، فقال [له الامام] وفقت لكل خير يا حجر، فجزاك الله خيراً عن اهل بيت نبيه"[73] . بعد ان قضى الامام نحبه تمت مبايعة ولده الامام الحسن(ﷺ) بالخلافة، ولدى وصول الخبر الى مسامع معاوية جمع جيشاً وسار به نحو العراق، وعند وصول النبأ الى الامام بان معاوية بلغ جسر منبج*، سير اليه حجر بن عدي الكندي الذي اخذ يأمر العمال بالاحتراس[74] (أي مراقبة الطرق وتشديد قبضتهم عليها) فيما دعى الناس بالتهيوء للمسير لقتال معاوية[75] الا ان تطور المواقف السياسية اتت على غير ما يشتهي الامام الحسن(ﷺ) بعدما ابصر بثقاب بصيرته ان معاوية سوف لا ينفك يشعل حرباً شعواء لتولي مقاليد الحكم ناهيك عما لمسهُ الامام من تململ زعماء الكوفة واهلها من الحروب التي انهكت قواهم واثرت في مستوى حياتهم المعيشية فضلاً عن شراء معاوية لذمم قادة جيش الامام بالمال ناهيك عن زعمائها[76] الامر الذي دعاه ليبرم معاهدة مما اصطلح عليه المؤرخون بصلح الحسن مع معاوية في سنة (41هـ / 661م) كان يهدف من خلاله الامام حقن دماء المسلمين[77] لكن الامر لم يرق لجماعة من خيرة اصحاب الامام من اصحاب ابيه (علي) (ﷺ)، لاسيما حجر بن عدي الذي خاطب الامام قائلاً "لوددت انك مت قبل هذا اليوم ومتنا معك، ولم يكن ما كان، انا رجعنا راغمين بما اكرهنا، ورجعوا مسرورين بما احبوا ..." [78].وكان وقع كلام حجر شديداً على الامام(ﷺ) فقال له يا حجر "اني رأيت هوى عظم الناس في الصلح وكرهوا الحرب ولم احب ان احملهم على ما يكرهون فصالحت بقياً على شيعتنا خاصة من القتل[79] فرايت دفع هذه الحروب الى يوم ما فان الله كل يوم في شأن"[80] ولاشك ان طريقة كلام حجر مع الامام وان كان فيه تطاولاً واضحاً لكن الذي دعاه الى ذلك شده حبه وإخلاصه لعلي وأبنائه وكراهته إن يخرج الأمر من أيديهم الى معاوية الذي طالما ابغضه وخرج لقتاله مجاهداً لعلمه بنواياه بالخروج عن نهج الاسلام القويم.

---

[70] () م. ن، ص332.

* ثم ارتد زمن ابي بكر وعاد الى الاسلام، (✕)الاشعث: هو الاشعث بن قيس بن معد يكرب الكندي، كان من ملوك كنده، اسلم ومعه سبعين من رهطه على يد النبي (ﷺ)شارك في اليرموك بالشام والقادسية بالعراق مات سنة 40هـ/ 660/ وصلى عليه الامام الحسن .ينظر:ابن قتيبه، المعارف، ص187- 188

[71] () ابي علي الفضل بن الحسن (من اعلام القرن السادس الهجري)، اعلام الورى باعلام الهدى، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، مطبعة ستاره، (قم- 1997م)، جـ1، ص390.

[72] () المجلسي، بحار الانوار، جـ42، ص290.

[73] () م. ن.

* منبج: مدينه كبيرة بينها وبين الفرات ثلاث فراسخ، بناها كسرى وسماها (من به) أي (انا أجود) فعربت وقيل (منبج) وقد أسكنها الرشيد في العصر العباسي، عبد الملك بن صالح بن علي. للمزيد من التفاصيل ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج4، ص326.

[74] () الاصفهاني ، ابي الفرج، (ت356هـ)، مقاتل الطالبين، تحقيق: احمد صقر، مطبعة احياء الكتب العربية، (القاهرة- 1949م)، ص60.

[75] () المفيد، ابي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت413هـ)، الأرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، مطبعة مهر، ط2، (قم- 1996م)، جـ2، ص10.

[76] () ينظر: الدييباج، عبد الكريم، ما وراء كربلاء (دراسة تحليليه للاسباب التي تكمن وراء واقعة الطف)، دار الضياء للطباعة، (النجف- د.ت)، ص75.

[77] () للمزيد من التفاصيل ينظر: ابو حنيفه الدينوري، الاخبار الطوال، ص 320- 321؛ الدييباج، ماوراء كربلاء، ص78- 79..

[78] () ابن اعثم، الفتوح، جـ4، ص295.

[79] () ينظر الى تجاوزات معاويه في الطبري، جـ5، ص371- 377، الحائري، شجرة طوبى، ص83-94.

[80] () ابو حنيفه الدينوري، الاخبار الطوال، ص 326.

سابعاً: مقارعته للحكم الاموي

بعدما تسلم معاويه خلافة المسلمين (41- 60هـ / 661- 680م) استهل حكمه – استكمالاً لمنهجه في بث الفرقه والفتنه بين المسلمين في عهد علي(ع)- بالترحم على عثمان وطلب المغفرة له والنيل من علي وشتمهُ على المنابر، وقد أوضح سياسته الراميه لوضع حد لتأثير الجبهة العلوية والحد من نشاطات شيعة علي(ع) وتحجيم حركتهم[81] في وصيته الى عامله على الكوفة المغيره بن شعبه سنة (41هـ/ 661م) والتي جاء في بعضها "اما بعد فان لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا ... وقد يجزى عنك الحكيم بغير التعليم، وقد اردت ايصاءك باشياء كثيرة، فانا تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضيني ويُسعد سلطاني، ويصلح به رعيتي، ولست تاركاً ابصارك بخصله: لا تتحم [أي لا تتورع] عن شتم علي وذمه والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب على اصحاب علي، والاقصاء لهم، وترك الاستماع منهم، وباطراء شيعة عثمان... والادناء لهم، والاستماع منهم. فقال: [له] المغيرة: قد جَربت وجُربت, وعملت قبلك لغيرك، فلم يُذمم بي دفع ولا رفع ولا وضع" [82].شرع المغيره بتنفيذ وصايا معاويه، فالزم جماعة من زعماء الشيعه – بينهم حجر- بحضور صلاة الجماعة "فكانوا يحضرون معهُ الصلاة"[83] وربما اراد معاويه من ذلك ان يفهم العامه بان زعمائهم – من شيعة علي – هم ممن يصلون وراء والي الخليفه وهم بذلك يعلنون صراحةُ عدم معارضتهم للحكم الاموي بدليل مواضبتهم على حضور الصلاة. كما التزم المغيره بوصية مولاه بشأن شتم علي(ع) والافتراء عليه كلما وسعهُ ذلك ولم يكن امام حجر بن عدي ورفاقه في الله ان يقفوا موقف الصامت ازاء تجاوزات المغيرة وتناوله للامام بالسب واللعن[84] فرد عليه "بل اياكم فذمم الله ولعن، ثم قام فقال ان الله عز وجل يقول (كونوا قوامين بالقسط شهداء الله) [85]، وانا اشهد ان من تذمون وتعيرون لاحق بالفضل، وان من تزكون وتطرون اولى بالذم"[86] فاجبه المغيره "يا حجر لقد رُمي بسهمك، اذا كنت انا الولي عليك، يا حجر ويحك اتق السلطان، اتق غضبه وسطوته فان غضبة السلطان احياناً مما يهلكا امثالك كثيراً"[87].ولما كانت آخر ايام المغيره بالكوفه قال في علي(ع) ما كان يقوله في ما سبق فانبرى له حجر في المسجد وصاح به صيحه سمعها جل من كان بالمسجد وخارجه وقال له "مر لنا ايها الانسان بارزاقنا فقد حبستها عنَّا ... وقد اصبحت مولعاً بذم امير المؤمنين فقام اليه اكثر من ثلثي الناس [وهم] يقولون صدق حجر وبر، مر لنا بارزاقنا فان ما انت عليه لايجدي علينا نفعا"[88] وتعاقبوا على مثل هذا الكلام جماعه مما يشير الى سخطهم من تلك الاساليب التي طبقها المغيره بامر معاوية، وظهر على المغيره القلق والحيرة لا سيما وان جهة المعارضة التي يتزعمها حجر اخذت تتسع لتشمل ثلثا المسجد[89] فحاول ان يستر هزيمته وخوفه بالتضاهر امام المتملقين بالورع عن التورط في اراقة دماء حجر واصحابه بقولهم "لا احب ان ابتدأ اهل هذا المصر بقتل خيارهم وسفك دمائهم، فيسعدوا بذلك واشقى ويعز في الدنيا معاويه ويذل يوم القيامة المغيره"[90] ويتضح لنا من هذا النص صحة موقف حجر واصحابه وعدالة قضيتهم بالمقارنة مع موقف المغيره وسيده. بعد موت المغيره (50هـ/ 670م) تولى امارة العراقيين (الكوفة والبصرة) زياد بن ابيه (50-53هـ/ 670- 673م) وعند وصوله الكوفة ارتقى المنبر وقال: "اما بعد، فانا قد جربنا وًجربنا، وسسنا وساسنا السائسون، فوجدنا هذا الامر لايصلح آخره الا بما صلح أوله، بالطاعة اللينه المشبه سرها بعلانيته ... ووجدنا الناس لا يصلح لهم الا لين في غير ضعيف، وشدة في غير عنف واني والله لا اقوم فيكم بامر الا امضيته على اذلاله... ثم ذكر عثمان واصحابه فقرضهم [أي اثنى عليهم] وذكر قتلته ومنهم بحسب رأيه علي] ولعنهم"[91] فتصدى له حجر ووقف موقفاً مشابهاً لموقفه ضد المغيره[92] فلم يجبه زياد لكنه ارسل في طلبه فحضر عنده فقال له زياد "تعلم اني اعرفك، وقد كنت انا واياك على ما قد علمت، ويعني من حب علي بن ابي طالب(ع)، وانه قد جاء غير ذلك، واني انشدك الله ان لا تقطر من دمك قطره فاستفرغه كله، املك عليك لسانك، وليسعك منزلك، وهذا سريري فهو مجلسك، وحوائجك مقضيه لدي فاكفني نفسك، فاني اعرف عجلتك فانشدك الله يا ابا عبد الرحمن في نفسك، واياك وهذه السفله [يعني اصحابه] ... ان يستزلونك عن رأيك فانك لو هنت علي او استخففت بحقك لم اخصك بهذا في نفسي،فقال له حجر:

---

[81] ابن العبري، أبي الفرج غريغوريوس بن آهرون الملطي (ت 685هـ)، تاريخ مختصر الدول، وضع حواشيه، خليل المنصور، دار الكتب العلميه، (بيروت- 1997)، ص96، المظفر، محمد حسين، تاريخ الشيعة، منشورات مكتبة بصيرتي، (قم- د.ت)، ص22.

[82] الطبري، تاريخ، جـ5، ص253- 254.

[83] ابن الاثير، الكامل، جـ3، ص369.

[84] الحسني، الانتقاضات الشيعيه، ص212.

[85] سورة النساء، آية 135.

[86] الطبري، تاريخ، جـ5، ص414.

[87] م. ن.

[88] ابن الاثير، الكامل، جـ3، ص414.

[89] الحسني، الانتقاضات الشيعيه، ص213.

[90] الطبري، تاريخ، جـ5، ص255.

[91] م. ن.

[92] م. ن، ص256.

قد فهمت"[93] والذي يفهم من النص ان زياد قدم لحجر ثلاث عروض كانت غايته منها اسكاته وضمان عدم وقوفه حائلاً امام تنفيذ السياسة الاموية الراميه الى السيطرة على عقول الرعيه وافراغهم من محتواهم العقائدي فضلاً عن التحكم بمصائرهم وهذه العروض هي:

1- اعتزال حجر السياسة والمعارضه للسلطات الاموية والكف عن استقطاب الانصار من حوله. وذلك بانه يبقى في داره لا يجتمع الى احد، وهو يعد تلويحاً بفرض الاقامة الجبرية عليه، وبتنفيذه لهذا الامر بحسب زياد يضمن حياته وحياة اصحابه.
2- انخراطه في الجانب الاموي فيكون له الجاه والمال.
3- بقائه على موقفه معادياً للدولة الاموية وهو ما يؤدي الى قتله عاجلاً ام اجلاً.

وازاء الموقف المتشنج الذي ابداه والي الكوفه من حجر آثر البقاء في البيت عملاً بنصيحة زياد[94]والواقع اني لا اجد هذا ممكن مع شخصية حجر الثائر وذلك لان بقائه لم يدم طويلاً فضلاً عن انه ربما اراد التفكير ملياً فيما عرضه عليه زياد كي لا يخطوا خطوه بالاتجاه الخطأ. وفي غضون ذلك اطمئن زياد بان حجر لن يعود الى نشاطه ثانيةًلا سيما ضد عمرو بن حريث ممثلهُ على الكوفه[95] فقرر الذهاب الى البصرة[96]وما ان علم صحابة حجر بالخبر حتى ذهبوا الى حجر وطلبوا منه اعلامهم بما جرى بينه وبين زيادفرفض اخبارهم لكنهم فهموا بانه كان مطالباً باعتزال السياسة والمكوث في بيته فالحوا عليه بعدم الامتثال لرغبات زياد قائلين له: "انك شيخنا واحق الناس بانكار هذا الامر"[97] فلم يجيبهم حجر، وعندما علم ابن حريث بخبرهم ارسل بطلب حجر وسألهُ "يا ابا عبد الرحمن ما هذه الجماعة و [قد] اعطيت الامر من نفسك ما قد رأيت، فقال له [حجر] تنكرون ما انتم فيه، اليك وراءك اوسع لك"[98] وفهم حجر من الكلام ان زياد اراده ان يلتزم بالبقاء في داره وليس الامر نصيحة، ونتيجة لذلك فضل التمسك بموقفه الرافض لحكم الامويين، ثم توجه مع اصحابه الى المسجد وعندما رمق بن حريث اخذ يرميه بالحصى والحجارة انكاراً له، وعندما علم ابن حريث ان حجر باق على موقفه السابق ابرق الى زياد قائلاً "ان كانت لك في الكوفة حاجة فالعجل العجل"[99] والواقع ان وصول الاخبار الى زياد وهو في البصرة بان شيعة علي(ع) اخذوا يتجمعون الى حجر وانهم يضهرون لعن معاويه والبراءة منه فضلاً عن النيل من ابن حريث ورميه بالحجارة[100] هي التي دعت زياد الى ركوب البريد والوصول بسرعة الى الكوفه[101] ولعله خاف سقوط الكوفة بيد المعارضه والدعوة فيها الى حكم علوي. بعد وصول زياد الى الكوفه ارتقى المنبر وخطب خطبه جعل يهدد فيها ويتوعد حيث قال فيها "اما بعد فان غب البغي والغي وخيم، ان هؤلاء جمو فاشروا وامنوني واجترأوا على الله وايم الله لئن لم تستقيموا لاداوينكم بدوائكم [ويقصد بذلك حجر واصحابه الذين حضروا الخطبه] ولست بشئ ان لم امنع الكوفه من حجر بن عدي واصحابه وادعهم نكالاًلمن بعدهم، ثم التفت الى حجر قائلاً: ويل امك يا حجر سقط العشاء بك على سرحان"[102] ويبدو ان زياد اطال في خطبته ولم يقم الصلاة، فاشار حجر اليه بان وقتها قارب على الفوت فلم يجبه زياد وكان بيد حجر حصا ضرب بها الارض غاضباً ثم نهض وامر الناس بالصلاة ونهض الناس معه عند ذلك قطع زياد خطبته وصلى بالناس[103] وعندما انتهى ارسل وراء حجر واصحابه فاجاب حجر واصحابه "لانأته ولا كرامه"[104] وقيل انه ارسل الى حجر، اشراف الكوفه يدعونه الى فض الناس من حوله وان يكف عن النيل من السلطة الحاكمة فلم يكلمهم و لم يكترث بهم"[105] فذهبوا بالخبر الى زياد فارسل ورائه الشرطة وعندما ارادوا اعتقاله التف حوله اصحابه ومنعوه عنهم وقد ارتجز قيس بن فهد الكندي ارجوزة دعى فيها الى الدفاع عن حجر قائلاً:

يا قوم حجر دافعوا وحاولوا وعن اخيكم ساعةً فقاتلوا
لا يلقين منكم لحجـر خاذلُ اليسُ فيكم رامحٌ ونابـلُ
وفارس مستلثم وراجـل وضارب بالسيف لا يزايل[106]

93() ابن سعد، الطبقات، مج6، ص218.
94() م. ن.
95() ابن الاثير، الكامل، جـ3، ص414.
96() م. ن.
97() ابن سعد، الطبقات، مج6، ص218.
98() م. ن.
99() م. ن.
100() الطبري، تاريخ، جـ5، ص256.
101() م. ن.
102() هو مثل يضرب في طلب الحاجة التي تؤدي بصاحبها الى الهلاك، واصله ان رجلاً خرج يلتمس العشاء فوقع على ذئب فاكله. ينظر: م. ن، هامش رقم 7.
103() م. ن.
104() ابن الاثير، الكامل، جـ3، ص415.
105() ابن سعد، الطبقات، مج6، ص219.
106() الطبري، تاريخ، جـ5، ص260.

وازاء هذا الموقف جمع زياد بن ابيه اشراف الكوفة وقال لهم "يا اهل الكوفه اتشجون بيد وتاسون بالاخرى ابدانكم معي واهواؤكم مع حجر بن عدي الهجاجه الاحمق المذنوب انتم معي واخوانكم وعشائركم معه هذا والله من دحسكم* وغشكم والله لتظهرن لي براءتكم او لآتينكم بقوم اقيم بهم اودكم وصعركم"[107] واستطاع زياد بالارهاب والتهديد ان يخضع الكوفيين لرغباته ويتجلى ذلك بقولهم له "معاذ الله ان يكون لنا رأي الا الطاعة لامير المؤمنين معاويه، وكل ما يرضيك ويُسيء الى حجر واصحابه فنحن على استعداد لتنفيذه فمرنا بامرك"[108] فدعا كل واحد منهم الى ان يدع اخاه وابنه ومن يطيعه من عشيرته ان يترك حجر وان يقيموه من مجلسه في المسجد ففعلوا ما طلب مهنم[109] ولم يبق مع حجر الا ثلة من اصحابه فجد ابن ابيه بطلب حجر وارسل شرطته فواجههم ابو العمرطه الكندي واصيب عمرو بن الحمق بعمود وبان النقص في اصحاب حجر فلاذوا بالفرار من احد ابواب كنده[110] بعد ذلك ارسل زياد مذحج وهمدان الى جبانه كنده لالقاء القبض على حجر كما ارسل منهم الى جبانه الصائدين للغرض نفسه فالقي القبض على جماعة من اصحاب حجر[111].وامام قلة من بقى من اصحاب حجر اشار عليهم بالانصراف عنه الى مكان آمن فادرك اصحابه رجال مذحج وهمدان واشتبكوا معهم فقتل من قتل وفر الباقون[112] اما حجر فانه توجه صوب بني حوت واحتمى ببيت رجل اسمه سليم بن يزيد وعندما ادركه رجال زياد وهو في الدار، اخذ سليم سيفه ليدافع عن حجر فبكت بناته وارتفع صياحهن ولما رأى حجر ذلك منعه من مجابهة القوم وهرب من الباب الخلفي للدار ونزل عند عبد الله بن الحارث فاحسن وفادته ورحب بقدومه وعندما احس بقرب الشرطة منه ذهب الى قبيلة الازد واختفى عند ربيعه وبقي عنده يومان[113] واشتد الطلب على حجل وكلف ابن زياد محمد بن الاشعث بهذه المهمة وهدده بضرورة الامساك بحجر[114] وعندما علم حجر بالامر ارسل الى ابن الاشعث ليأخذ له اماناً من زياد، فجمع الاشعث جماعة من وجوه اهل الكوفة ودخلوا على زياد واخذوا لحجر اماناً على ان يرسلهُ الى معاويه ليرى فيه رأيه، فاجابهم لذلك"[115] ويبدو لي ان حجر ما كان ليطلب الامان الا لاسباب موجبه دعته الى ذلك ربما كان اولها ان ولده همام كان معتقلاً لديهم وانه اراد تسليم نفسه كي يطلقوا سراح ولده ولم يحصل هذا الامر- كما سنرى – وربما ان حجر اراد بتسليم نفسه ان يوقف موجة العنف السياسي التي اجتاحت الكوفة انذاك لا سيما من شيعة علي ناهيك عنه عندما اراد بالامان الا يعطي الذريعه لزياد بقتله. بعدما وافق زياد على منح الامان الى حجر بعثوا اليه فحضر الى زياد فلما رآه قال له: "مرحباً ابا عبد الرحمن، حربُ ايام الحرب وحربٌ وقد سالم الناس، على اهلها تجني براقش* فقال حجر: ما خلعت طاعة، ولا فارقت جماعه، واني على بيعتي"[116] فقال له زياد "هيهات يا حجر، تشج بيد وتأسوا بأخرى، وتريد اذا امكن الله منك ان نرضى، كلا والله، فقال [له حجر] الم تؤمني حتى آتي معاويه فيرى في رايه، قال:بلى قد فعلنا"[117] ثم امر به وادع السجن[118] ولما تحقق لحجر النية المبيته لزياد بالعزم على قتله اخذ يصيح باعلى صوته "اللهم اني على بيعتي ، لا اقيلها ولا استقيلها سماع الله والناس"[119] ولكن دون جدوى. مكث حجر في سجنه عشرة ايام[120] وفي غضون ذلك جد زياد في طلب اصحاب حجر فمنهم من قتل[121] ومنهم من القي القبض عليه وبلغوا اثنى عشر رجلاً[122] ثم الحق بهم رجلان خلال مسيرهم الى الشام فاصبحوا اربعة عشر[123].اخذ زياد بعدما تمكن من حجر واصحابه وايداعهم السجن يعد العدة لاستصدار اوامر بقتلهم – قبيل تسييرهم الى الشام – وذلك باتخاذ التدابير المناسبة التي تكفل له ذلك، فطلب من اهل الكوفه ان يشهدوا على حجر واصحابه شهادة تدينهم باقسى الاحكام فتطوع ابو برده بن ابي موسى الاشعري وكتب شهادة جاء فيها "بسم الله الرحمن الرحيم

---

* الدحس: التدسيس للامور. ينظر ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن احمد (ت711هـ)، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، (بيروت- د.ت)، مادة دحس.

[107] الطبري، تاريخ، جـ5، ص257- 258.

[108] م. ن، ص 258.

[109] م. ن.

[110] ابن الاثير، الكامل، جـ3، ص415.

[111] م. ن، ص416.

[112] م. ن.

[113] الطبري، تاريخ، جـ5، ص262- 263.

[114] ابن الاثير، الكامل، جـ3، ص416.

[115] الطبري، تاريخ، جـ5، ص264.

* براقش: اسم كلب دل نباحه قوماً على أربابه فهلكوا. ينظر: م. ن، هامش رقم3.

[116] ابن الاثير، الكامل، جـ3، ص417.

[117] الطبري، تاريخ، جـ5، ص264.

[118] ابن الاثير، الكامل، جـ3، ص417.

[119] الطبري، تاريخ، جـ5، ص265.

[120] م. ن.

[121] كعمر بن الحمق وغيره . ينظر: ابن الاثير، الكامل، جـ3، ص417- 419؛ الحائري، شجرة طوبى، ص80- 83.

[122] ابن الاثير، الكامل، جـ3، ص423.

[123] م.ن.

هذا ما شهد عليه ابو برده لله رب العالمين ، شهد ان حجر بن عدي خلع الطاعة، وفارق الجماعه، ولعن الخليفه، ودعا الى الحرب والفتنه، وجمع الجموع يدعوهم الى نكث البيعة وخلع امير المؤمنين معاويه، وكفر بالله كفرةً صلعاء"[124] "وان هؤلاء النفر الذين معه هم روؤس اصحابه على مثل رايه وامره"[125] وقد اعجب زياد بهذه الشهادة فاشهد عليها رؤوساء ارباع الكوفه[126] ثم قال "اني لأحب ان يكونوا اكثر من اربعه"[127] فشهد عليها سبعين رجلاً كان بينهم القاضي شريح بن هاني[128] وكان زياد يهدف من كل ذلك انزال الموت بحجر واصحابه بدلائل بينه تحل قتلهم باجماع آراء اهل المصر. دفع زياد بحجر واصحابه الى وائل بن حجر الحضرمي وكثير بن شهاب وامرهما ان يسيرا بهم الى الشام وقد زود رسوليه بكتاب جاء فيه "اما بعد فان الله احسن عند امير المؤمنين البلاد فكاد له عدوه وكفاه مؤونة من بغى عليه، ان طواغيت الترابيه* ... وعلى رأسهم حجر بن عدي خالفوا امير المؤمنين وفارقوا جماعة المسلمين ونصبوا لك الحرب فاظهرنا الله عليهم وامكننا منهم وقد شهد عليهم خيار اهل المصر واشرافهم وذوو العقل والدين بما راوا وعملوا ..." [129].

خرج رسولا زياد بحجر واصحابه ليلاً[130] ويبدو ان زياد اراد خروجهما بهذا الوقت لدواعي امنيه مخافة ان يؤدي خروجهم نهاراً الى اثارة حفيظة محبيهم فيقدموا الى القيام باعمال لا تحمد عقباها. وقد نظمت هند ابنة زيد بن محزمه الانصارية وكانت من الشيعة، قصيدة بهذه المناسبة ترثي حجراً جاء في مطلعها:

ترفع ايها القمــر المنيرُ ... تبصر هل ترى حُجراً يسير
يسير الى معاويه بن حرب ... ليقتله كمـا زعم الامــير

الى قولها:

الا يا حجر حجر بن عدي ... تلقتك السلامة والسـرور
اخاف عليك ما اردى عدياً ... وشيخاً في دمشق له زئير
يرى قتل الخيار عليه حقاً ... له من شر امته وزير[131]

ثم مضت القافلة تسير وتطوي البيداء بحجر واصحابه الى الشام حيث معاويه حتى بلغت مرج عذراء فحبسوا هناك[132] ثم ارسل معاويه في طلب رسولا زياد فقدما عليه وسلماه كتاب زياد فقراءه ونظر الى شهادة الشهود على حجر واصحابه كما سلمهُ وائل الحضري كتاباً قد دفعه اليه شريح القاضي يحوي على شهادة بحق حجر بعكس ما جاء في شهادته على الوثيقه المرسلة من زياد[133] فارسل معاويه كتاباً الى زياد بدى فيه متحيراً تجاه حجر بن عدي واصحابه هل يامر بقتلهم ام يخلي سبيلهم[134] فبعث اليه زياد بكتاب يدعوه فيه الى التعجيل بالتخلص منهم قائلاً له "ان كانت لك حاجة في هذا المصر [أي الكوفه] فلا تردن حجراً واصحابه الي"[135].في غضون ذلك ارسل زياد رجلين الى معاويه بيد عامر بن الاسود العجلي ليلحقهما باصحاب حجر الاثنا عشر وعندما وصل عامر الى عذراء التقاه حجر وهو مصفد بالاغلال فقال له: "يا عامر ابلغ معاويه ان دماءنا عليه حرام، واخبره انا قد اومنا وصالحناه وصالحنا، وانا لم نقتل احداً من اهل القبلة فيحل له دمائنا"[136].وعندما دخل عامر بن الاسود على معاويه في مجلسه وذكر خبر الرجلين فاستوهبهما احد جلاسه واستوهب آخرون أربعةِ ممن كان محتجزين مع حجر[137] واراد مالك بن هبيره السكوني ان يستوهب حجراً من معاويه فأجابه "هو راس القوم واخاف ان خليت سبيله ان يُفسد علي مصره"[138] وهذا دليل ان معاويه لم يكن على غير بصيرةٍ من امره عندما اقدم على قتل حجر، كما ارسل حجر بمن يخبر معاويه بانه والباقين من اصحابه ما زالوا باقين على بيعتهم له، فاجاب معاويه بان "زياد اصدق عندنا من حجر"[139].

---

[124] الطبري، تاريخ، جـ5، ص269 ().
[125] ابن الاثير، الكامل، جـ3، ص422 ().
[126] تنظر اسمائهم في الطبري، تاريخ، جـ5، ص268؛ ابن الاثير، الكامل، جـ3، ص422 ().
[127] الطبري، تاريخ، جـ5، ص268 ().
[128] كان شريح قد ادلى بشهادة ضد حجر ثم غيرها بعدما اخذ حجر واصحابه مقيدين الى الشام . ينظر: م. ن ().
* الترابيه: أي المنتسبون الى ابي تراب وهي كنيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (). ينظر: م. ن، ص272 هامش رقم1.
[129] م. ن ().
[130] م. ن، ص270 ().
[131] م. ن، ص280؛ ابن سعد، الطبقات، مج6، ص220؛ ابن الاثير، الكامل، جـ3، ص427 مع اختلاف في البيت الاخير وهو (فان تهلك فكل زعيم قومٍ من الدنيا الى هلك يصُير).
[132] الحاكم النيسابوري، المستدرك، جـ3، ص469 ().
[133] الطبري، تاريخ،جـ5، ص272 ().
[134] م. ن، ص272- 273 ().
[135] م. ن، ص273 ().
[136] ابن الاثير، الكامل، جـ3، ص423-424 ().
[137] تنظر أسمائهم في الطبري، تاريخ،جـ5، ص274 ().
[138] ابن الاثير، الكامل، جـ3، ص424 ().
[139] الطبري، تاريخ،جـ5، ص273 ().

ثامنا: استشهاده

وعندما ايقن معاويه ان بقاء حجر واصحابه يشكل خطوره على حكمه في الكوفه ارسل الى قرية مرج عذراء ثلاثة من رجاله بينهم رجل اعور وقد امرهم ان يطلقوا سراح ستة ممن استوهبوهم منه وقتل المتبقين اذا لم يعلنوا البراءة من علي(ﷺ) ولعنه[140] فاجاب حجر واصحابه بالرفض[141] عند ذلك امر الجلادون بالقبور فحفرت وبالاكفان فاحضرت، وعندما تأكد حجر واصحابه بانهم مقتوليين قاموا يصلون الليل كله[142].

في اليوم التالي قدموهم للقتل فطلب حجر من الجلادين ان يمهلوه يتوضأ ويصلي، فتركوه فصلى صلاته ثم قال بعدها "والله ما صليت صلاة قط اخف منها ولولا ان تظنوا في جزعاً من الموت لا ستكثرت منها"[143] ثم رفع راسه نحو السماء وقال "اللهم انا نستعديك على امتنا فان اهل العراق [اهل الكوفه] شهدوا علينا واهل الشام قتلونا"[144].وكان لحجر ولد اسمهُ همام وقد حبس معه في عذراء، وحين تقدم هدبه لقتل حجر سأل قاتله ان يقدم ولده قبله وقال لولده "تقدم يا بني حتى احتسبك بين يدي الله سبحانه، فقيل لحجر: تعجلت الثكل يا بن عدي، فقال: خفت ان اتقدمه ويرى هول السيف على عنقي فيتراجع عن ولاية علي(ﷺ) فلا نجتمع في دار المقامه التي اعدها الله للصابرين"[145].ثم انطلق هدبه بن فياض القضاعي شاهراً سيفه على راس حجر فارتعدت اوصاله وخارت قواه فقال له هدبه لقد زعمت انك لا تجزع من الموت فتبرأ من صاحبك وندع لك حياتك[146] فقال "ومالي لا اجزع وارى قبراً محفوراًوكفناً منشوراً وسيفاً مشهوراً واني والله وان جزعت من القتل لا اقول ما يسخط الرب"[147] وطلب من قاتله ان لا يحل له قيوداً ولا يغسل عنه دماً حتى يجتمع هو ومعاويه امام الله على هذه المحنه[148] بعد ذلك قتلوه صبراً ومعه سبعة من اصحابه[149] وكان ذلك في سنة احدى وخمسين للهجرة[150].ويظهر ان غاية معاويه من قتل حجر واصحابه كانت:

1- توجيه رسالة الى المعارضين للحكم الاموي في مختلف الامصار الاسلاميه – ومنها الكوفه- بان مصيرهم سيكون كمصير حجر واصحابه اذا ما بقوا على نفس منهجهم.
2- تمهيد الطريق امام ولده يزيد لتولي الحكم مع عدم وجود معارضه له في الكوفة وغيرها وذلك من خلال القضاء على رموزها.
3- تصفيه الموالين لعلي ابن ابي طالب(ﷺ) من كبار صحابته كي لا يصبحون في وقت ما ملاذا يلجأ اليه الحسين(ﷺ) للقيام بالثورة ضد الحكم الاموي والقضاء عليه.

تاسعاً: استنكار مجزرة عذراء

حضيت جريمة مرج عذراء باستنكار واسع لدى العديد من الشخصيات الإسلامية بل ان البعض أدانها قبل وقوعها كما هو الحال بالنسبة للنبي محمد(ﷺ) وعلي(ﷺ).

1- اما النبي(ﷺ) فقد استنكرها في حديث روته عنه عائشة زوج النبي – بقوله(ﷺ): "يقتل بمرج عذراء نفر يغضب لهم اهل السماوات"[151]
2- كما استنكرها علي(ﷺ) بقوله "يا اهل العراق سيقتل سبعة نفر بعذراء مثلهم كمثل اصحاب الاخدود*، منهم حجر بن الادبر واصحابه، يقتلهم معاويه بالعذراء من دمشق كلهم من اهل الكوفه"[152].
3- واستنكرها الحسين (ﷺ) في معرض رده على معاويه قائلاً له "الست قاتل حجر بن عدي اخا كنده واصحابه الصالحين المطيعين العابدين، كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون المنكر والبدع، ويؤثرون

---

[140] () تبرأ نصفهم فاطلق سراحهم واعدم (ﷺ)ابن الاثير، الكامل، جـ3، ص424؛ فيما ذكر المسعودي ان الجلادين عندما طلبوا من معتقلي مرج عذراء ان يتبرأوا من علي الباقون، ينظر: مروج الذهب، جـ3، ص13.

[141] () الطبري، تاريخ،جـ5، ص275.

[142] () ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي المغربي (ت808هـ)، تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، دار احياء التراث العربي, (بيروت- 1971م)، جـ3، ص13.

[143] () ابن الاثير، الكامل، جـ3، ص425.

[144] () ابن سعد، الطبقات، مج6، ص219؛ ابن خلدون، العبر، جـ3، ص13.

[145] () الحسني، الانتفاضات الشيعيه، ص221.

[146] () الطبري، تاريخ،جـ5، ص275؛ ابن الاثير، الكامل، جـ3، ص425؛ ابن خلدون، العبر، جـ3، ص13.

[147] () ابن عبد البر، الاستيعاب، ق1، ص428؛ ابن الاثير، الكامل، جـ3، ص425.

[148] () ابن سعد، الطبقات، مج6، ص220؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ق1، ص331؛ ابن الاثير، اسد الغابة، مج1، ص386.

[149] () الطبري، تاريخ،جـ5، ص276, 377؛ المسعودي، مروج الذهب، جـ3، ص12 , 13.

[150] () هناك اختلاف في سنة مقتل حجر واصحابه فاليعقوبي، تاريخ، جـ2، ص161 يورد انهم قتلوا سنة 52هـ/ 662م اما المسعودي فيذكر تارةً انهم قتلوا سنة 50هـ/ 660م وتارةً سنة 53هـ/ 663م اما الطبري، تاريخ،جـ5، ص276؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ق1، ص331؛ ابن الاثير، الكامل، جـ3، ص425، فانهم يرون ان قتلهم تم سنة 51هـ/ 661م ونحن نتفق مع الرأي الثاني ذلك ان الحادثة وقعت في السنة الاولى لحكم زياد وهي سنة 51هـ/ 661م اما سنة 53هـ/663م فقد كان فيها موته.

[151] () اليعقوبي، تاريخ، جـ2، ص161

* اصحاب الاخدود: تنظر قصتهم في : الجزائري، نعمة الله، النور المبين في قصص الانبياء والمرسلين، مؤسسة الاعلمين للنشر، (بيروت- د.ت)، ص449.

[152] () الشيرازي، الدرجات الرفيعة، ص429.

حكم الكتاب، ولا يخافون في الله لومة لائم، قتلتهم ظلماً وعدواناً بعدما كنت اعطيتهم الايمان الملغظه والمواثيق المؤكده لا تاخذهم بحدثٍ كان بينك وبينهم،ولا باحنةٍ تجدها في صدرك عليهم"[153] .

4- ادانه ابن عمر فعندما نُعي اليه حجر "اطلق حبوته، وولى وهو يبكي"[154].

5- استنكرته عائشة وحاولت منعه لكن رسولها وصل متأخراً وعندما خاطب معاويه "اين غاب عنك حلم ابا سفيان، اجابه: حينما غاب عني مثلك من حلماء قومي"[155] وفي خبر قوله "لم يحضرني رجل رشيد"[156].

6- كما شجب الحادثة الحسن البصري بقوله "اربع خصال كن في معاويه لو لم تكن فيه الا واحده لكانت موبقه: انتزاؤه على هذه الامة بالسيف ... واستخلافه بعده ابنه سكيراً خميراً ... وادعاؤه زياد ... وقتله حجراً واصحاب حجر فيا ويلا له من حجر ويا ويلا له من حجر واصحاب حجر"[157] .

7- وقد ادانها ابي مخنف عن زكريا عن اسحاق قوله "ادركت الناس وهم يقولون ان اول ذل دخل الكوفه [كان] موت الحسن بن علي، وقتل حجر بن عدي، ودعوة زياد"[158].

8- كما استنكرها والي معاويه على خرسان الربيع بن زياد الحارثي، فعندما وصله خبر حجر دعا الله عز وجل ان يقبضه ولا يبقيه في هذه الدنيا حيث قال "اللهم ان كان للربيع عندك خير فاقبضه اليك وعجل، فلم يبرح من مجلسه حتى مات"[159].

9- وقد ادان معاويه الحادثه في ايامه الاخيرة لاسيما حين اشتد عليه مرضه وكان يصاب بغيبوبه كان يفيق بعدها وهو يصيح بصوت عال "مالي وحجر بن عدي"[160].

عاشرًا: ادب شهداء عذراء

لقد تركت جريمة عذراء وقعاً اليماً لدى العديد من الادباء والشعراء من الذين عاصروا حجر وحتى من الذين وقفوا على مسرح الجريمه – بعد عدة قرون- حيث قبور حجر واصحابه، فجادت قرائحهم بقصائد ترنمت ببطولة هذه الكوكبة من الشهداء. نبدأها بما جاء على لسان عبد الله بن خليفه الطائي حيث يقول في بعض ابيات له:

على اهل عذراء السلام مضاعفاً مـن الله وليسق الغمام الكنهورا*
ولاقى بها حجر من الله رحمـةً فقد كان ارضى الله حجراً واعذرا
ولا زال تهطال ملث* وديمة على قبر حجرا وينادى فيحشرا

الى قوله:

ومن صادع بالحق بعدك ناطق بتقوى ومن ان قيل بالجور غيرا[161]

وقد رثاهُ الشيخ محمد جواد السهلاني بابيات وضعت على احد جدران مقام حجر* جاء فيها:

ماذا اقول بحجر بعـد تضحيةٍ نفسي الفداء بحجر وهو مقتول
حب الامام علي كان منهلـــه قد ذاب في حبه السيف مسلول
هـذا الولاء والا كان مـهزلةً أولا ادعاءً لكذب وهو معسول
ما انت يا حجر الا رمز تضحيةٍ في كل جيل له حمدٌ وتهليـل
كنت الشهيد في التاريخ مفخرةً وذكر خصمك بالتاريخ مرذول [162]

كما رثاهم الشيخ احمد الوائلي في قصيدة بعنوان ((من وحي شهداء عذراء)) جاء في بعض ابياتها:

عذراء اولاء فرطَ من اواءلنـــا باول الدرب للساري به رسمـوا
ساروا وما كان غير الجمر موطئهم فكابدوه وما زلت لـــهم قـدم
واترعوه مـــفاداة وتضحيـــة وقمة بالنفوس البـذل والكـرم

---

[153] الطبرسي، ابي منصور احمد بن علي بن أبي طالب، الاحتجاج، تعليق: محمد باقر الموسوي الخراساني، مطبعة ظهور، (قم-2006م)، جـ2، ص19 ().
[154] ابن حجر، الاصابه،جـ1، ص314 ().
[155] ابن عبد البر، الاستيعاب، ق1، ص329؛ ابن الاثير، الكامل، جـ3، ص426 ().
[156] اليعقوبي، تاريخ، جـ2، ص161؛ الشيرازي، الدرجات الرفيعه، ص429 ().
[157] ابن الاثير، الكامل، جـ3، ص427 ().
[158] الطبري، تاريخ،جـ5، ص332 ().
[159] ابن عبد البر، الاستيعاب، ق1، ص332 ().
[160] ابن اعثم، الفتوح، جـ4، ص344- 345 ().
(الكنهور كالسفرجل قطع من السحاب تشبه الجبال ينظر: الطبري، تاريخ،جـ5، ص282 هامش رقم(3*).
الملث: المطر الدائم ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ملث *.
[161] ينظر: ابن الاثير، الكامل، جـ3، ص419 ().
ينظر وصف مقام حجر في الحلقي، وقفة، ص 424 *.
[162] ينظر : م. ن ().

ترنح السيف مشدوهاً غـــداة راى تلك النحور على حدّيه تزدحمُ[163]

كما انشد خادم المقام [مقام حجر وأصحابه] أبياتاً بحق شهداء عذراء يقول فيها:

جماعة بثرى عذراء قد دفنوا وهـم صحاب فضل واعظام
حجر قبيصة صيفي شريكهم ومحرز ثم همـام وكـرام
وكرام عليهم الف رضـوان ومكرمة تترى عليهم كلما داموا

وقد الحق الشهيد الاول محمد بن مكي بيتاً آخر لهذه الابيات يقول فيه

ومثلها لعنات للذين سفكوا دماؤهم وعذاب بالذي ساموا[164]

الخاتمة

بعد الانتهاء من كتابة البحث يمكن تثبيت النقاط التالية:

1- اثبت البحث ان حجر مع كونه لم يرافق النبي(✕) الا فترة محدودة الا انه برهن على عمق انتمائه للإسلام طيلة حياته وحتى اللحظات الاخيرة من استشهاده.
2- اوضح البحث انه كان يتصف بصفاتٍ عديدة لكن ابرزها مجاهرته بالحق ومقارعته للظلم وقد بدت هذه الصفة واضحةً في العهد الاموي.
3- اثبت البحث ان لحجر ثلاث اولاد ذكور وليس له بنات بعكس ما ذهب اليه المسعودي في مروج الذهب.
4- اظهر البحث ان لحجر جهوداً متميزة في المجال العسكري لاسيما جهاده في الفتوحات الاسلامية من خلال مشاركته في حرب القادسية وجلولاء وفتوح الشام ناهيك عن اسهاماته في حروب علي(🕋) وتصديه للغارات التي امر بها معاويه على الكوفه.
5- لم تقتصر اسهامات حجر على المجال العسكري حسب بل كان له روى سياسيه واضحة تجلت في مواقفه الرافضة لتدخلات الامويين في ادارة شؤون المسلمين وان يكونوا اصحاب القرار وقد تجلى ذلك واضحاً في رفضه لسياسة الخليفه الثالث ومعارضته لعقد الامام الحسن(🕋) معاهدة (الصلح) مع معاويه وانتهاء بمواقفه الرافضه لسياسات عمال معاويه على الكوفه لاسيما المغيره بن شعبه وزياد ابن ابيه.
6- اثبت البحث ان عهد زياد كان باكورة لعهد ارهاب سياسي منظم تجاه شيعة آل البيت بصورة عامة وصحابة رسول الله(✕) وعلي بن ابي طالب(🕋) بصورة خاصة لاسيما حجر.
7- ان مقتل حجر فتح الباب امام تصفية كافة الزعامات السياسيه المعارضه للحكم الاموي وخاصة في الكوفة حيث شيعة علي ومحبيه.
8- اظهر البحث ان استنكار جمع من الشخصيات الاسلامية في ذلك العهد لمجزرة عذراء شكل دليلاً واضحاً على عدالة قضية حجر وصدق نهجه بالمقارنة مع معاويه وازلامه.

الباحث

هوامش البحث

[163] () 417 -425 ص1998م)، (دمشق- المرشد، العدد 9، 10، السنة الخامسة، نص القصيده في مجلة ينظر.
[164] () 417 ص ن، م. : ينظر.